

لا ينبغي للرجال الطيبين أن يظلوا متفرجين صامتين: هل يضع الاحتجاج المشترك حداً للإمتياز الفظيع المنوط بالإفلات من العقاب؟

مقال افتتاحي بقلم وكيلة الأمين العام للأمم المتحدة والمديرة التنفيذية لهيئة الأمم المتحدة للمساواة بين الجنسين وتمكين المرأة، فومزيلي ملامبو-نغوكا.

إن ألم وغضب ما يزيد على مليون شخص غرّدوا #MeToo (#أنا_أيضاً) خلال الأسبوع المنصرم أغرقا وسائل الإعلام الإجتماعية بقصص شخصية حول التحرش الجنسي أو الإعتداء. تدلّ هذه المسيرة التضامنية الإقتراضية على الحاجة الملحة لإيجاد صوت مشترك وتشير إلى المستوى الذي بلغه الإعتداء المستنتر والذي لم يكن موثقاً في السابق. حين تصوير النساء غير مرئيات تقريباً، وحين لا ينظر إليهن فعلاً، يتراءى أن الناس غير مرغمين على الإهتمام بما يحدث لهنّ.

ينطوي هذا الاحتجاج الذي اتخذ من شبكة الإنترنت منصة له، على أهمية، ذلك انه يظهر أفعالاً علنية يتم إسكاتها وتحييدها بموجب إتفاق. إن القدرة على الإفلات من العقاب في حال التحرش بفتاة أو سيدة هي إمتياز فظيع، لكنها القاعدة أيضاً، في كثير من الحالات. إن ما نشهده راهنا - حيث تصوغ كل امرأة وتدعم حكايات نساء أخريات، وحيث يلتحق الرجال بهن للإعتراف بدورهم- هو دعم للحق في الكلام العلني. نحن نشهد أيضاً على هذه القدرة من خلال الأرقام وهي حصيلة الخبرات الفردية المتركمة وغير المُعلنة إجمالاً.

في موازاة تعاضم حشد النساء اللواتي يخبرن قصصهن، تتظهر تدريجياً صورة الحياة الفعلية. ثمة كتلة محورية أخذة في النمو وهي تُثبت المدى الذي يبلغه سوء التصرف حين يستطيع الناس اقتراح الأفعال ثم الإفلات من العقاب، في ظلّ ثقافة الصمت.

ها هي هذه الموجة من الاحتجاج التي اتخذت من شبكة الإنترنت منصة له، تنضمّ إلى تحركات جماهيرية أخرى تعبّر على نحو جماعي عن نشاط المرأة في مجال المناصرة: مسيرات *ni una menos* "لا امرأة أقلّ شأنًا" شهدتها أمريكا اللاتينية للاحتجاج على العنف ضد النساء، وخصوصاً الممارس ضد الأكثر حرماناً، ومسيرات نسائية في جميع أنحاء العالم في مطلع هذا العام دعماً لحقوق النساء وللحريات الأخرى، ومسيرات في بولندا وإيرلندا ضد حظر الإجهاض.

حمّى ستار الصمت أيضاً مرتكبي الإعتداءات على المثليات والمثليين ومزدوجي الميل الجنسي ومغايري النوع الإجتماعي وثنائيي الجنس وغيرهم من الفئات المهمّشة بسبب العرق أو الفقر أو

السنّ. هذه الفئة من النساء هي الأكثر تضرراً، والأقل ظهوراً وهي الأكثر استفادة من القوة الجماعية التي تمنحها هذه الأصوات والتي تمارس ضغطاً على الأقران، وتؤدي إلى تغيير ثقافي. في المحصلة، إن الناشطة المجتمعية من مدينة نيويورك والتي تخدم شبّات من أصول أفريقية بهوية تارانا بورك، هي التي أطلقت وسم "أنا أيضاً"، في حين تلقّته صديقتها أليسا ميلانو ليصير الحافز لمليارات من الناس وصلتهم رسالته إلى الآن.

إن مشاركة المرأة الكاملة والحرّة في المجتمع وفي الحياة السياسية وفي مكان العمل هي مسألة أساسية لكي تسمع أصوات النساء ولكي تحترم حقوقهن. وكلما ارتفع عدد النساء اللواتي يظلمن بأدوار تمثيلية عليا في القطاعين العام والخاص، ارتفعت الفرص المتاحة لتغيير ثقافة التسرّ والإفلات من العقاب التي تسمح لرجال ذوي نفوذ بإيذاء النساء. إن التحرّش الجنسي وغيره من أشكال التحرّش في العمل وفي المنزل وخارجه هو ممارسة غير مقبولة ولا يجب تجاهلها.

ينبغي الكفّ عن اللامبالاة العابرة وعن ردود الفعل المقلّلة من شأن ما يحدث. إن عدد الرجال الذي انضم إلى هذه الحملة يعدّ بالكثير ولكنه غير كافٍ إلى حدّ بعيد (بلغ العدد ثلاثين في المئة وفق أحد التقارير). منذ وقت طويل جداً، إن القاعدة هي السماح بغضّ الطرف. ينبغي للنساء والرجال على حد سواء أن يغيّروا موقفهم إزاء أفعال الإعتداء الجنسي وأن يتحدوا لتخرج هذه الأفعال إلى العلن وتصير مرفوضة. لا ينبغي للرجال الطيبين أن يظنّوا متفرّجين صامتين.

ثمّة حاجة ملحة لتمكين جميع النساء فيستطعن الكلام وتحترم حقوقهن وأجسادهن ويجري تأسيس وترسيخ ممارسات سوية، فلا يتحرّر أي شخص مسؤول من الملامة. لا إفلات من العقاب بعد الآن.

نُحيي آلاف النساء اللواتي بناهضن انتهاكات حقوق النساء والفتيات كافة وندعو إلى تجديد الإلتزام بمناهضة جميع أشكال العنف ضد النساء.